أثر المعنى في ذكر الحرف وحذفه في القرآن الكريم

أ.م.د جاسم محمد سهيل
جامعة الأنبار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

من روائع البيان القرآني المعجز انّه يذكر حرفا في موضع ، ويحذفه في موضع آخر ، قريب في الصياغة والتعبير والمعنى من الموضع السابق وذكر هذا الحرف أو حذفه ليس اعتباطيا أو مصادفة ، وإنما جاء لحكمة مقصودة ، تقررّ المعنى المراد ، وتحقق الإعجاز البياني ، إذ إنّ (التعبير القرآني تعبير فني مقصود .كلّ لفظة بل كلّ حرف فيه وُضع وضعاً فنياً مقصوداً ، ولم تُراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل رُوعي في هذا الوضع التعبير القرآني كلّه)[1] .

إذن المعنى أو السياق له أثر كبير في ذكر الحرف أو حذفه ، فعندما يذكر القران حرفاً أو يحذفه في الآية ؛ فلأنّ ذلك يتفق مع سياق الآية التعبيري والمعنوي ، فالقران دقيق ومعجز فيما يذكر وفيما يحذف (فالحرف الواحد من القران معجز في موضعه ؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة ، وهذا هو السّر في إعجاز جملته إعجازا أبدياً)[2] .

وقبل أن أقدِّم أمثلة أعلل فيها حكمة ذكر الحرف أو حذفه في ألفاظ من القرآن الكريم ، لابدّ أن نقدّم تعريفاً بالمصطلحات التي وردت في عنوان البحث وهي :

المعنى والحرف والذكر والحذف والقران الكريم ، بإيجاز وبما يناسب هذا البحث .

أما المعنى فهو المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة [3] أو هو التعبير باللفظ عمّا يتصوره الذهن ، أو هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ [4].

ومعنى كل كلام مقصده ؛ ولذلك لا معنى من غير غاية ، أو غرض أو هدف [5].

ويطلق على دراسة المعنى : الدلالة [6] أي إنّ الدلالة في الدراسات العربية مرتبطة بدراسة المعنى ، وإنه السبيل المؤدية إلى المعرفة ، وجمعه معان ، والمعاني هي :((الصّور الذهنية من حيث إنّه وضع بإزائها الألفاظ، والصورة الحاصلة في العقل فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميّت مفهوماً))[7] .

---

(1) التعبير القرآني 8 .
(2) إعجاز القران والبلاغة النبوية 150.
(3) دلائل الأعجاز 202.
(4) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع 48.
(5) مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة 31.
(6) علم الدلالة 11، والتفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين 73.
(7) التعريفات 281.

أمّا الحرف ففي اللغة له معانٍ كثيرة ، فقد يأتي بمعنى الطرف والشفير والحدّ ، قال الجوهري :((حرف كلّ شيء :طرفه وشفيره وحدّه ، ومنه طرف الجبل ، وهو أعلاه المحدّد))[1] ويأتي بمعنى الجانب والناحية ، قال ابن منظور :((والحرف في الأصل :الطرف والجانب، وبه سمّي الحرف من حروف الهجاء ... وحرف الشيء ناحيته ، وفلان على حرف من أمره . أي :ناحية منه))[2] ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾[3] أي :على جانب وطرف من الدين . وقد يستعمل الحرف بمعنى الكلمة ، يقال : هذا الحرف ليس من لسان العرب ، وقد يراد به اللهجة ، أو اللغة ، أو الطريقة ، أو الوجه[4] وقد يأتي بمعانٍ أخرى[5].

وفي الاصطلاح يطلق الحرف ويراد به احد أمرين :

الأول: أن يراد به احد حروف التهجي ، وتسمى حروف المعجم ؛ لانّ المعجم يرتّب على أساس ترتيبها [6] وقد سميت حروف المعجم حروفاً ؛لانّ :((الحرف حدُّ منقطع الصوت وغايته وطرفه ، كحرف الجبل ونحوه ، ويجوز أن تكون سمّيت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواحٍ ، كحروف الشيء وجهاته المحدقة به))[7] .

الثاني: أن يراد به احد حروف المعاني ، ويعرّفه النحاة بأنّه كلمة تدل على معنى في غيرها فقط [8] . وهذا البحث معنّي بدراسة اثر المعنى في ذكر الحروف المفردة وحذفها في القران الكريم .

أما الحذف ففي اللغة له معانٍ كثيرة منها القطع والإسقاط ، جاء في (لسان العرب): ((حذف الشيء يحذفه حذفاً :قطعَهُ من طرفه ... وحذف الشيء:إسقاطه))[9]. وأما في الاصطلاح فقد عرّفه العلوي بقوله :((هو عبارة عن التجنب لبعض حروف المعجم عن إيراده في الكلام))[10] أما الذكر فهو في اللغة الحفظ للشيء ، جاء في لسان العرب ((الذكر :الحفظ للشيء تذكره))[11] وفي الاصطلاح هو خلاف

---

(1) تاج اللغة وصحاح العربية مادة (حرف)1342/4.

(2) لسان العرب مادة (حرف)41/9.

(3) سورة الحج ، من الآية 11.

(4) المعجم الوسيط مادة (حرف)167/1.

(5) انظر حروف الجرّ وأثرها في الدلالات 19-21.

(6) الكتاب 431/4.

(7) سرّ صناعة الإعراب 16/1.

(8) الجني الداني في حروف المعاني 20.

(9) لسان العرب ، مادة (حذف) 39/1-40.

(10) الطراز 175/3.

(11) لسان العرب ،مادة (ذكر) 308/4.

الحذف ، أي حالة من الوجود [1] أما القران فقد قيل في معناه اللغوي أقوال كثيرة [2] ويبدو أن أحسن الأقوال وأرجحها أنه مصدر مثل الخسران ، والكفران ، والغفران ، وهو بمعنى القراءة ، قال تعالى :{ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }[3] أي قراءته . وقد سمي بهذا المصدر كلام الله المنزل على نبينا محمد ((صلى الله عليه وسلم)) المسمّى أيضاً بالذكر ، والكتاب ، والفرقان ، فالقران بمعنى المقروء كالكتابة بمعنى المكتوب [4] .

أمّا المعنى الاصطلاحي للقران فيبدو لي أنّ معنى القران واضح عند المسلمين ولا أن يتردد أحد في معرفته ، لذا اكتفي بتعريف الجرجاني له ، إذ يقول في تعريفه : ((القران هو المنزّل على الرسول ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهه)) [5] .

وأقدم الآن بعض الأمثلة التي تبيّن اثر المعنى في ذكر الحرف أو حذفه في القران الكريم ((للاستشهاد بها على روعة عظم القران الكريم ، وعلو بلاغته ، وسموّه على كلام الناس وأساليبهم بهذا النظم المحكم ، وتلك لبلاغته المعجزة التي تجلّت في جميع سوره وآياته ، بل وضع حروفه من ألفاظه))[6] وهي على النحو الأتي :

أولاً : ذكر الألف وحذفها .

الذي يلاحظ التعبير القرآني يرى أنّ الألف قد تحذف من آيات وتذكر في آيات أخرى ، من ذلك :

1- ذكر حرف الألف في كلمة (الظنون) و(الرسول) و(السبيل) في قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[7] وقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾[8] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾[9] في حين لم تزد الألف في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[10] .

---

(1) المعجم المفصل في علوم البلاغة 570.

(2) انظر هذه الأقوال في : النحو وكتب التفسير 19/1-24.

(3) سورة القيامة ، الآية 18.

(4) انظر في تفصيل هذا : جامع البيان عن تأويل أي القران 94/1، والإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي 159.

(5) التعريفات 223. وانظر تعريفات أخرى للقران الكريم في النحو وكتب التفسير 25/1-32.

(6) فنون البلاغة بين القران وكلام العرب 64.

(7) سورة الأحزاب ، من الآية 10.

(8) سورة الأحزاب ، من الآية 66.

(9) سورة الأحزاب ، من الآية 67.

(10) سورة الأحزاب ، من الآية 4.

ذهب بعض العلماء إلى القول بزيادة الألف في الكلمات الثلاث السابقة من اجل النسق الإيقاعي في السورة ، وتماثل رؤوس الآي . يقول القرطبي : ((وهذه الألف تقع في الفواصل فيوقف عليها ولا يوصل بها))[1] .

ومن المحدثين القائلين بزيادة حرف الألف في الكلمات الثلاث لرعاية الفاصلة الدكتور تمام حسان ، إذ يقول :((وقد يكون هذا العدول عن الأصل أو ذاك الترخّص في القاعدة لرعاية الفاصلة .فمن المقرّر في القواعد أن الألف تنوب عن التنوين الذي بعد الفتحة عند الوقف ،كما سبق في قوله تعالى :﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] ، ولانّ التنوين الذي نابت عنه الألف لا يجتمع مع أداة التعريف (أل) خلت النصوص العربية من الجمع بينهما حتى في قوافي الشعر ، لانّ الألف التي تجامع (أل) في قوافي الشعر ألف إطلاق وليست ألف إبدال أو تعويض . ومع ذلك تأتي ألف الإبدال في القران في كلمات اقترنت بأداة التعريف ، وكانت الألف في هذه الحالة لرعاية الفاصلة))[3] .

وقد وافقه الدكتور كمال الدين عبد الغني المرسي ، معلقاً على توجيه الدكتور تمام بقوله:((وقد أصاب الدكتور تمام حسان في هذا التوجيه))[4] .

ولم تكن رعاية الفاصلة وحدها هي السبب في زيادة الألف في الكلمات الثلاث (الظنون) و(الرسول) و(السبيل) التي تحقق الانسجام الموسيقي ، على اعتبار أن أغلب فواصل سورة الأحزاب تنتهي بحرف الألف .ولكن المعنى أولاً هو الذي دعا إلى زيادة هذه الألف ، فالمعنى يتطلب مدّ الظنون ذلك لأنّ المؤمنين (ظنوا ظنوناً كثيرة مختلفة فأطلقها في الصوت مناسبة لتعددها وإطلاقها . ولو قال (الظنون) لوقف على ساكن ، والساكن مقيّد ، فناسب إطلاق الألف إطلاق الظنون ، والمؤمنون ههنا في موقف ضيّق وخوف شديدين وزلزلة عظيمة ، كما أخبر عنهم ربنا ، فغمرتهم الظنون وشرقوا وغربوا فيها فأطلق الصوت مناسبة لإطلاق الظنون وتعددّها[5] ، وزيادة الألف في كلمتي (الرسول) و (السبيل) يتطلبه المعنى أيضاً ، فهو من قول أهل النار ، وهم يصطرخون فيها ، ويمدون أصواتهم بالبكاء ، كما أخبر عنهم ربنا

---

(1) الجامع لأحكام القران 249/14.

(2) سورة النساء ، من الآية 46.

(3) البيان في روائع القران 200/1.

(4) فواصل الآيات القرآنية 126.

(5) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 38.

بقوله : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [1] ، فالمقام هنا مقام صراخ ومدّ الصوت يناسب ذلك[2] .

أمّا الآية الأخرى فليست كذلك ، وإنما هي قول الله مقرراً حقيقة عقلية معلومة فهو يقول :((مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ))[3] .

فالمقام هنا لا يقتضي المدّ ، فلم تزد الألف على (السبيل) بخلاف زيادتها في الكلمات الثلاث السابقة .

2- ومن ذلك أيضاً زيادة الألف في كلمة (قوارير) وحذفها منها في آيتين ، وهما قوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ [4] .

وقد جعل بعض العلماء القدامى يقول بصرف ما لا ينصرف مراعاة للفاصلة القرآنية(5) ، واستشهدوا على ذلك بالآيتين السابقتين ، وتبعهم في ذلك بعض المحدثين(6) .

ولم تكن الفاصلة القرآنية هي السبب الوحيد في زيادة حرف الألف في (قواريرا) وإطلاقها . ولكن المعنى هو الذي تطلب ذلك ، إذ إنّه أطلق (قواريرا) الأولى مناسبة لإطلاق جنسها ونوعها ، فهو لم يبيّن نوع القوارير ، ولا من أي جنس هي ، فأطلقها لذلك ، ولمّا قيّد جنسها في الآية التي تليها فقال :((قوارير من فضة)) لم يطلقها(7) .

3- وكذلك حذف الألف من كلمة (بطونه) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾ [8] لكنه أثبت الألف في آية أخرى متشابهة ، وهي

(1) سورة فاطر ، من الآية 37.
(2) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 38.
(3) سورة الأحزاب ، الآية 4.
(4) سورة الإنسان ، الآيتان 15- 16.
(5) انظر على سبيل المثال : معترك الأقران في إعجاز القران 27/1 ، والإتقان في علوم القران 942/2.
(6) فواصل الآيات القرآنية 98.
(7) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 38.
(8) سورة النحل ، الآية 66.

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[1] .

والمعنى في الآية الأولى هو الذي دعا إلى إفراد الضمير وتذكيره والمراد به الجنس(2) أي المقصود بالذكر هو اللبن فقط فهو بعض منافعها(3) . وقد حكى سيبويه أنّ من العرب من يقول : هو الأنعام ، وعليه حملت آية الأنعام في تذكير الضمير(4) .

أما إثبات الألف في سورة (المؤمنون) والمجيء بها على التأنيث أنه ذكر بقية المنافع ، وذكر بقية المنافع يناسبه إسناد البطون إلى الجمع(5) . زيادة على ذلك إن مجيء الضمير في (بطونها) بالتأنيث يناسب ما اتبع به من الضمائر الواردة في الآية ، وهي قوله : فيها ، ومنها ، وعليها ، لذا ورد الضمير بصورة التأنيث والجمع(6) .

4- وكذلك حذف الألف من كلمة " ألوانه " في قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ [7] وقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ (8) في حين أثبت الألف في قوله تعالى : ﴿ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ﴾ (9) .

والمعنى هو الذي دعا إلى ذكر الألف أو حذفها ، ويقول ابن الزبير الغرناطي في علة حذف الألف أنه ((إفراد هذا الضمير أيضاً لرجوعه إلى "ما" الواقعة على جنس واحد مبثوث في الأرض يشتمل على أنواع مختلفة في الطعوم والألوان ، فأفرد لفظ الآية لما أفرد لفظ الضمير لوقوع ذلك على الجنس الذي عبرت عنه " ما " وهو جنس واحد ، فاقتضى ذلك إفراد الآية))[10] .

---

(1) سورة المؤمنون ، الآية 21.

(2) ملاك التأويل 748/2.

(3) من أسرار الآيات المتشابهات 263.

(4) انظر : الكتاب 20/2.

(5) من أسرار الآيات المتشابهات 263.

(6) ملاك التأويل 748/2.

(7) سورة النحل ، من الآية 13.

(8) سورة النحل ، من الآية 69.

(9) سورة فاطر ، من الآية 27.

(10) ملاك التأويل 732/2.

أما إسناد الألوان في الجبال إلى الجمع في سورة فاطر فهو مناسب لمجموعها[1] .

5- ومن ذلك حذف ألف التثنية من كلمة " رسول" في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [2] مع إن الآية في موسى وهارون . والعلة في ذلك هو الدلالة على أنهما يحملان رسالة واحدة موجهة إلى قومهما ، وهما أخوان متعاضدان على حملها ، وكأنهما رسول واحد(3) . في حين جاء على الأصل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [4] .

ويبدو لي أن السياق هو الذي أثّر في حذف الألف أو ذكرها . فحذف الألف في سورة الشعراء يتطلبه السياق ، فالسورة مبنية على الإفراد ، إذ إنّ الآيات التي قبلها على الإفراد. من ذلك

أ- فالنداء كان لموسى وحده ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [5] .

ب- والقول والخوف كان من موسى وحده : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [6]

ج- وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان كان من موسى ، قال تعالى : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ [7] .

د- والذنب كان على موسى وحده ، قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [8] .

والآيات التي بعدها على الإفراد أيضاً، من ذلك:

---

(1) من أسرار الآيات المتشابهات 263.

(2) سورة الشعراء ، من الآية 16.

(3) من أسرار الآيات المتشابهات 264.

(4) سورة طه ، من الآية 47.

(5) سورة الشعراء ، الآية 15.

(6) سورة الشعراء ، الآية 12.

(7) سورة الشعراء ، من الآية 13.

(8) سورة الشعراء ، الآية 14.

أ- فخطاب التربية من فرعون كان لموسى وحده ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [1] .

ب- والفعل كان من موسى وحده ، قال تعالى : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [2] .

ج- والفرار والخوف كان من موسى وحده والحكم والرسالة وهبها الله إلى موسى ، تعالى قال: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [3] .

في حين سورة "طه" مبنية على التثنية ، لذا جاء بألف التثنية على الأصل ، فالخطاب كان لموسى وهارون ، والضمائر قبل الآية كلها على التثنية ،قال تعالى : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [4] .

ثانياً : ذكر الباء وحذفها .

لقد وردت آيات في القران الكريم ، ذكرت الباء في بعضها وحذفت من بعضها الأخر . وكان للمعنى اثرٌ في ذكر الباء أو حذفها . من ذلك :

1- قد ذكرت الباء في كلمه (رسوله) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾ [5] . وحذفت منها في قوله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ

---

(1) سورة الشعراء ، الآية 18.
(2) سورة الشعراء ، الآيتان 19-20.
(3) سورة الشعراء ، الآية 21.
(4) سورة طه ، الآيات 42- 46.
(5) سورة التوبة ، من الآية 54.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [1] . وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [2] .

ويوضّح الكرماني بيان سرّ ذلك الاختلاف ، فيقول :((لأنّ الكلام في الآية الأولى إيجاب بعد نفي ، وهو الغاية في باب التأكيد ، وهو قولهم : وما منعهم ، فأكد المعطوف أيضاً ، ليكون الكلّ في التأكيد على منهاج واحد ، وليس كذلك الآيتان بعده))[3] .

2- وقد حذفت الباء من كلمة (الزبر) و(الكتاب) في قوله تعالى : ﴿ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [5] . في حين ذكرت في قوله تعالى : ﴿ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [4] .

إن كلمة (الزبر) و(الكتاب) التي وردتا في سورة آل عمران وقعتا في كلام بني على الاختصار ، والاكتفاء فيه بالقليل عن الكثير مع وضوح المعنى . أمّا آية فاطر فقد صُدرت بما يخالف ذلك ؛ لأنّ الشرط جاء بها بلفظ المستقبل وهو : وإن يكذبوك ، وجاء جواب الشرط مبنياً للفاعل ، فلم يحذف منه ما حذف من الأول[5] . يقول الزركشي موضحاً ذلك الاختلاف : ((والفرق أن الأولى حذفت الباء فيها للاختصار استغناء بالتي قبلها ، والثانية خرجت عن الأصل للتوكيد ، وتقدير المعنى كما تقول : مررتُ بك وبأخيك ، إذا اختصرت)) [6] .

3- وذكرت الباء مع (مَن) الموصولة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى ﴾ [7] في حين حذفت الباء من (مَن) الموصولة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى ﴾ [8] .

---

(1) سورة التوبة ، من الآية 80 .
(2) سورة التوبة ، من الآية 84 .
(3) البرهان في توجيه متشابه القران 88 .
(4) سورة فاطر ، من الآية 25.
(5) درة التنزيل 75.
(6) البرهان في علوم القران 218/3 .
(7) سورة القصص ، من الآية 37.
(8) سورة القصص ، من الآية 85 .

والآية الأولى روعي فيها حال الداعي وحده لقوله بعد ذلك (من عنده) وهو موسى عليه السلام .أما الآية الثانية فقد روعي فيها حال جميع الداعين محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن معه من المهتدين ، فحذفت الباء لتبقى(مَن)مطلقة فبعمومها غير مقيدة[1].

ثالثاً:ذكر التاء وحذفها .

وأعني به ذكر التاء في آيات من القران الكريم ، وحذفها من آيات أخرى ، وقد كان للمعنى أثر في ذكر التاء أو حذفها من ذلك :

1- ذكر التاء في الفعل (تستطع) في قوله تعالى : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2] وحذفها منه في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[3]

وهاتان الآيتان نزلتا بخصوص قصة موسى مع الخضر – عليهما السلام – في ثلاثة أفعال غريبة قام بها الخضر ، أثارت إنكار موسى واعتراضه ، والأفعال الثلاثة هي : خرق الخضر للسفينة ، وقتلُه للغلام ، وبناؤه للجدار . وقد فارق الخضر موسى – عليهما السلام – ، وقبل أن يفارقهُ بيّنَ له حكمة الأفعال الثلاثة ، فعرف موسى أن الخضر على صواب فيما فعل ، وقبل أن يؤول الخضر لموسى – عليهما السلام – الأفعال الثلاثة قال له : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[4] فأثبت التاء في الفعل (تستطع)، والمعنى يقتضي إثباتها ، لأنّ موسى – عليه السلام – شاهد ثلاثة أفعال مثيرة للخضر – عليه السلام – وقد وقع موسى في حيرة وهو يحاول تفسيرها ، وكأنه صارَ في "همٍّ" نفسي وشعوري ثقيل ، وصار في شوق كبير لمعرفة حقيقته وحكمة تلك الأفعال الثلاثة المثيرة . وقد راعى التعبير القرآني الثقل النفسي الذي يعيشه موسى ، فأثبت التاء في الفعل (تستطع) وبذلك تناسب ثقل الهم النفسي

عند موسى – عليه السلام – مع الثقل البنائي في حروف الفعل ، المكوّن من خمسة أحرف(5) ، فالمقام مقام شرح وإيضاح فلم يحذف من الفعل[6] .

(1) من أسرار الآيات المتشابهات 267.
(2) سورة الكهف ، من الآية 78.
(3) سورة الكهف ، من الآية 82 .
(4) سورة الكهف ، من الآية 78.
(5) الحروف العاملة في القران الكريم بين النحويين والبلاغيين 242- 243.
(6) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 19.

ولمّا أوّل الخضر لموسى – عليهما السلام – حقيقة أفعاله الثلاثة قال : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾[1] فحذف التاء من الفعل (تستطع) وهذا التخفيف يناسب التخفيف في مشاعر موسى – عليه السلام – وزوال الهم والثقل الذي يفكر فيه[2] فالمقام – هنا – مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها بكلمة وفارقه فحذف من الفعل[3] .

2– ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾[4] .

لقد كرر الفعل (استطاعوا) في الآية مرتين ، لكن التاء حذفت في المرة الأولى ، وذكرت في المرة الثانية فما حكمة ذلك؟

إن هذه الآية قالها الله – سبحانه وتعالى– في السدّ الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب ، قال تعالى على لسان ذي القرنين : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾[5] فقال : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أي : يصعدوا عليه ، فحذف التاء ، والأصل (استطاعوا) ثم قال : ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾ وذلك أنه لما كان صعود السدّ أيسر من نقبه واخف عملاً ، خفف الفعل للعمل الخفيف ، فحذف التاء ، وطوّل الفعل في العمل الثقيل الطويل فقال : ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾ . يقول ابن الزبير الغرناطي :((استطاع واستاع واسطاع والأول الأصل ، ثم يحذفون احد الحرفين تخفيفاً ، فمجيء أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السدّ والصعود فوقه ، ثم جيء بأصل الفعل مستوفي الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه ، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب ، والنقب أشد عليهم وأثقل ، فجيء بالفعل مخففاً مع الأخف ، وجيء به تماماً مستوفي مع الأثقل فتناسب))[6] .

---

[1] سورة الكهف ، من الآية 82.

[2] الحروف العاملة في القران الكريم بين النحويين والبلاغيين 243.

[3] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 19.

[4] سورة الكهف ، الآية 97.

[5] سورة الكهف ، الآيتان 96-97.

[6] ملاك التأويل 790/2.

3- ومن ذلك أيضاً حذف إحدى التائين من الفعل (تفرقوا) في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾[1] ولم يحذف إحدى التائين في الفعل (تتفرقوا) في قوله تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾[2] وللمعنى أثر واضح في حذف التاء أو ذكرها على النحو الأتي :

أ- الخطاب في آية سورة آل عمران للأمة المسلمة ، وهي امّة واحدة ولذلك ناسب أن يكون الفعل بتاء واحدة فقال ((ولا تفرقوا)) . في حين السياق في آية سورة الشورى هو الكلام فيها على أمم مختلفة وشرائع متعددة ذكر منها شريعة نوح ، وشريعة سيدنا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى – عليهم الصلاة والسلام– وهذه أمم عديدة فناسب تعدد الأمم تعدد التاءات في الفعل .

ب- إنّ الأمة الإسلامية تاريخها قريب إذا ما قيست بالأمم العديدة ، وهذه الأمم العديدة استغرقت مدة طويلة ، فناسب طول الزمان الذي عاشته هذه الأمم تطويل الفعل بإضافة حرف آخر له .

ج- إن الله نهى الأمة الإسلامية عن التفرق ، مهما كان قليلاً أو جزئياً ، لانّ أي تفرق فيها مهما قلت نسبته يؤثر فيها ويضعفها ، ولذلك اقتطع السياق من الفعل حرفاً ، وحذف التاء منه ، فدل ذلك على تحريم أي شيء من التفرق ، مهما قلّ ، وهذا المعنى غير مراد في الأمم السابقة ، لأنها انقضت وأصبحت تاريخاً ، فلم يحذف من فعلها شيء وبقيت التاءات فيه على الأصل .

د- لقد ذكر الفعل في آية سورة الشورى مرتين ، مرة بصيغة المضارع ، ومرة بصيغة الماضي فقال : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وقال :﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ . أما سياق الآيات في سورة آل عمران فقد ذكرت الكلمة فيه مرة واحدة ، ولذا جاء الفعل بتاء واحدة[3] .

4- ومن ذلك ذكر التائين في الفعل (تتنزل) في قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }(4) في حين حذف إحدى

(1) سورة آل عمران ، الآيتان 102-103.

(2) سورة الشورى ، الآيتان 13-14.

(3) انظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 15، والحروف العاملة في القران الكريم بين النحويين والبلاغيين 250-251.

(4) سورة فصلت ، الآية 35.

التائين من الفعل (تنزل) في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[2] . ولاشك في أن للمعنى أثر في ذكر التاء أو حذفها ، فالتنزيل في آية سورة فصلت أكثر من الآيتين الأخريين ذلك أن المقصود بها : إن الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت لتبشرهم بالجنة ، وهذا يحدث على مدار السنة في كل لحظة . ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم ، فتتنزل لتبشره بالجنة . فأعطى الفعل كلّ صيغته ولم يحذف منه شيئاً وأما آية سورة الشعراء . فان التنزل فيها اقل ، لانّ الشياطين لا تتنزل على كل الكفرة . وإنما تنزل على الكهنة . أو على قسم منهم ، وهم الموصوفون بقوله : ﴿ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ ﴾ ولاشك في أنَّ هولاء ليسوا كثيرا في الناس ، وهم ليسوا بكثرة الأولين ولا شطرهم بل هم قلة ، فاقتطع من الحدث ، فقال (تنزل) بحذف إحدى التائين . وكذا الحال في آية سورة القدر ، فان تنزل الملائكة ، إنما هو في ليلة واحدة في العام ، وهي ليلة القدر ، فهو اقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت ، فاقتطع من الحدث[3] .

5- ومن ذلك أيضاً حذف إحدى التائين من الفعل (تولوا) في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[4] . بينما قال (تتولوا) من دون حذف التاء في قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[5] . فما حكمة ذلك ؟

أ- إن آية سورة الأنفال خطاب للمؤمنين ، في حين آية سورة هود خطاب للكافرين ، ومعلوم أن تولي المؤمنين اقل من تولي الكافرين ، وذلك لأنّ المؤمنين مطيعون لله ، بخلاف الكفرة . فلما كان تولي المؤمنين اقل حذف من الحدث للدلالة على قلة توليهم ، بخلاف تولي الكافرين فإنه عام شامل ، فهو يشمل تولي المؤمنين وزيادة فزاد في الفعل للدلالة على زيادة تولّيهم .

---

(1) سورة الشعراء ، الآيتان 221-222.

(2) سورة القدر ، الآية 4.

(3) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 12-13.

(4) سورة الأنفال ، الآية 20.

(5) سورة هود ، الآية 52.

ب– إن الله ينهى المؤمنين عن التولي مهما كان قليلاً ، فاقتطع من الفعل للدلالة على النهي عن أي تولي مهما قلّ[1] .

رابعاً : ذكر اللام وحذفها .

قد تذكر اللام في آيات من القران الكريم ، وقد تحذف في آيات أخرى ، وللمعنى أثرٌ في ذلك ، ومن المواطن القرآنية التي يتمثل فيها هذا الحذف والذكر الآتي :

1– ومن المواطن القرآنية التي حذفت فيها اللام بعد ذكرها قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[2] .

فقد حذفت لام التوكيد من الجواب " لو " مع آية الماء " وجعلناه أجاجاً" وبعد ذكرها في آية الحرث والإنبات " لجعلناه حطاماً" . وقد ذكر العلماء في بيان السرّ في هذه المخالفة وجوهاً من أبرزها :

أ– إنّ صيرورة الماء ملحاً أسهل وأكثر من جعل الحرث حطاماً ؛ إذ الماء العذب يمر بالأرض السبخة فيصير مالحاً ، فالتوعد به لا يحتاج إلى توكيد .

ب– إنّ جعل الحرف حطاماً قلب للمادة والصورة ، وجعل الماء أجاجاً قلب للكيفية فقط وهو أسهل وأيسر .

ج– إنّ اللام أدخلت في آية المطعوم للدلالة على أنه يقدم على أمر المشروب وإنّ الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أنّ المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم ، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب .

د– إنّ الحرث والزرع كثيراً ما وقع كونه حطاماً ، فلو قال جعلناه حطاماً كان يتوهم منه الإخبار فقال : لجعلناه ليخرجه عما هو صالح له في الواقع وهو الحطامية ، وقال في الماء المنزل من المزن " جعلناه" لأنّه لا يتوهم ذلكم فاستغنى عن اللام[3] .

وعلى الرغم من وجاهة هذه التفسيرات إلا أننا نرى مرجع ذلك إلى زاوية التدليل بكل منهما على تفرده جلّ شأنه بفعل الخالق ، ولذا وردت صيغة الاستفهام التقريري عن حقيقة الفاعل لفعل الزرع " أأنتم

---

(1) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 17.

(2) سورة الواقعة ، الآيات 63- 70.

(3) انظر: البرهان في علوم القران 89/3، والكشاف 16/4.

تزرعونه أم نحن الزارعون" ولفعل إنزال الماء من السماء " أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون" وذلك لإقرار نسبة كل من الفعلين إلى الخالق – عز وجل – وحده ؛ ولهذا الإقرار – والله أعلم– كانت المخالفة بذكر لام التوكيد في آية الزرع " لو نشاء لجعلناه " دون آية الماء " لو نشاء جعلناه" ، إذ بالتأمل نجد أن نسبة إنزال الماء إلى الخالق لا سبيل إلى إنكارها لمنكر ، فليس هناك من يستطيع ادعاء القدرة على إنزال الماء من السماء عذباً كان أو أجاجاً .. ومن ثمّ لم تكن هناك حاجة إلى التوكيد . أما مع نسبة الزرع إليه سبحانه فالأمر مختلف ؛ إذ إن هذه النسبة قد ينكرها الإنسان أو يجادل فيها زاعماً إن فعل (الزرع) أو الإنبات هو نتيجة طبيعية لفعل (الحرث) الذي يزاوله ، ولذا ورد التوكيد في آية الزرع دحضاً لهذا الزعم ، وتأكيداً من أن الإنسان وما يزاوله من أسباب في حرث الأرض وإلقاء الحب فيها وسقيها ، ليس هو الفاعل الحقيقي للزرع بل الفاعل الحقيقي هو الله – عز وجل– القادر لو شاء لجعل كل منهما في باطن الأرض حطاماً(1) ولذا ورد في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿لا يقولنّ أحدكم زرعتُ وليقل حرثتُ﴾ [2] .

2– ومن المواطن القرآنية التي حذفت فيها اللام بعد أن ذكرت قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [3] فإنه – سبحانه – أكّد إثبات الموت الذي لا ريب فيه ثلاثة توكيدات (4) ، وأكّد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً ، وكان المتبادر العكس ، لأن التأكيد إنما يكون حيث يكون الإنكار .

لقد ذكر الإمام الزركشي أربعة تفسيرات [5] في ذلك:

أحدها : إنّ البعث لما قامت البراهين القطعية عليه صار المنكر له كالمنكر للبديهيات ، فلم يحتج إلى تأكيد، وأما الموت فإنه – وإن أقروا به – لكن لم يعلموا ما بعده نزّله منزلة من لم يقر به ، فاحتاج إلى تأكيد ذلك .

الثاني : إن دخول اللام على (ميتون) أحق ؛ لأنه تعالى يرد على الدهريين القائلين ببقاء النوع الإنساني خلفاً من سلف ، وقد أخبر تعالى عن البعث في مواضع من القران ، وأكده وكذب منكروه ، كقوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [1] .

---

[1] انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية 177– 178.

[2] شعب الإيمان 312/4.

[3] سورة المؤمنون ، الآيتان 15– 16.

[4] وهي إنّ واللام ، وإيراد الخبر بصيغة الاسم " ميتون" دون صيغة الفعل "تموتون" .

[5] البرهان في علوم القران 87/3– 88.

الثالث : إنه ذكر اللام في المرة الأولى فاستغنى عنها في المرة الثانية ، إذ إن العطف يقتضي الاشتراك في الحكم فكأنه قيل : لتبعثون .

الرابع : بولغ في تأكيد الموت ، تنبيهاً للإنسان على أن يكون الموت نصب عينيه ، ولا يغفل عن ترقبه ؛ فإن ماله إليه ؛ فكأنه أكدت جملته ثلاث مرات ؛ لهذا المعنى لأنّ الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي ؛ حتى كأنه مخلّد ، ولم يؤكد جملة البعث إلا بـ "إنّ" لأنه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل إنكاراً .

والرأي الأخير هو الذي أميل إليه ، وهو أن يجعل الإنسان الموت نصب عينيه ، فعلى الرغم من أن عدم إنكار الناس للموت لكنهم في غفلةٍ عنه ، هذه الغفلة أدت إلى أن يؤكد الموت في الآية ثلاثة توكيدات .

3- وكذلك نلاحظ حذف اللام مع (سوف) في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2] ، واثبات اللام مع (سوف) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3] .

يعلل الخطيب الاسكافي ذكر اللام في سورة الشعراء بقوله:" فأما اختصاص سورة الشعراء بقوله"فلسوف" وزيادة اللام فلتقريب ما خوفهم به من إطلاعه عليهم وقربه عنهم حتى كأنه في الحال موجوداً واللام للحال ،والجمع بينهما وبين سوف التي للاستقبال إنما هو لتحقيق الفاعل وأدنائه من الوقوع"(4) ويعلل حذف اللام في سورة الأعراف بقوله:" فنطق القران بحكاية التعريض بالوعيد والإيضاح بالتهديد معاً"[5].

4- وجاءت كلمة (منقلبون) بغير لام في قوله تعالى على لسان السحرة الذين امنوا : ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [6] وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[1] في حين ذكرت اللام مع كلمة

---

(1) سورة التغابن ، من الآية 7.

(2) سورة الأعراف ، الآيتان 123-124.

(3) سورة الشعراء ،الآية 49.

(4) درة التنزيل 178.

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(6) سورة الأعراف ،من الآية 125

(منقلبون) في سورة الزخرف تعليماً للمؤمنين الشاكرين على نعمة الركوب ، في قوله تعالى :﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ (2).

وذلك لأنّ المؤمنين من السحرة قد اقترب أجلهم فهم أكثر تعلقاً بالآخرة وما فيها من الثواب ، فلا يحتاج الأمر إلى تأكيد ، وأما المؤمنون المتمتعون بنعمة الركوب فهم قد يغفلون عن ذكر المصير ، فناسب تأكيد انقلابهم إلى ربهم باللام(3) .

5- ومن حذف اللام وإثباتها في القران الكريم فعل التسبيح ، فقد يتعدى مباشرة إلى مفعوله من دون اللام . وأحياناً يتعدى باللام ، والآيات التي تتحدث عن التسبيح في القران الكريم كثيرة ، تعدى الفعل فيها مباشرة إلى مفعوله . من ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (4) فالهاء في (يسبحونه) في محل نصب مفعول به ، أي: يسبحون الله . ومنها قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (5) أي سبحوا الله . ومنها قوله تعالى :﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (6) .

ومن الآيات التي تعدى فيها الفعل بحرف اللام (سبح لله) افتتاح السور المسبحات الخمس (7) .

ولمن يسأل عن إثبات اللام في (سبح الله) وحذفها في الآيات الأولى التي ذكرناها فنقول : وفرقٌ بين أن يتعدى فعل (سبّحَ) إلى المفعول به بنفسه ، وبين أن يتعدى إليه بحرف اللام ، أي : فرقٌ بين أن يقول : سبّحَ الله ، وأن يقول سبح لله . فرق في الصياغة وفي المعنى فاللام في قوله تعالى :﴿ سبح لله ما في السماوات ﴾ تسمى (لام التقوية)أو (لام التعدية) ،لأنها تقوي وصول الفعل إلى المفعول به ، فهو يصل إلى المفعول به بواسطتها ، ويتعدى إلى المفعول به عن طريقها .هذه هي وظيفة اللام النحوية ، أما وظيفتها البلاغية فهي للتعليل وللتبيَن وللتوكيد ، ويسمي الدكتور الخالدي هذه اللام ،لام الإخلاص ، إذ

---

(1) سورة الشعراء ، من الآية 50.

(2) سورة الزخرف ، الآيتان 13-14.

(3) من أسرار الآيات المتشابهات 272-273.

(4) سورة الأعراف ، الآية 206.

(5) سورة الأحزاب ، الآيتان 41-42.

(6) سورة الأعلى ، الآية 1.

(7) وهي سورة الحديد وسورة الحشر وسورة الصف وسورة الجمعة وسورة التغابن .

إنّ المعنى الذي تقرَره اللام في الآية: ﴿ سبح لله ما في السماوات وما في الأرض ﴾ هو توجه المسبح بتسبيحه لله ، بان يجعله خالصاً لله ، مبتغياً به وجه الله ، طالباً منه وحده الأجر والثواب . إن هذه اللام تلقي ظلال الإخلاص لله في العمل الذكر والتسبيح ، وتدعو المسلم إلى أن يحقق هذه المعاني وهو يسبح الله وهذا بُعد تربوي للام ، ويمكن أن نسميها (لام الإخلاص)(1) يقول الزمخشري :((اللام في قوله :(سبح لله)إما أن تكون مثل اللام في : نصحته ، ونصحت له. وإما أن يراد بقوله (سبح لله) : أحدث التسبيح لأجل الله ، ولوجهه خالصاً))[2] .

إن الآيات التي تعدى فيها التسبيح إلى ما بعده باللام ، تتحدث عن نوع خاص من المسبحين ، وهم المسبحون الذين يكون التسبيح لهم سجيةً وطبيعةً ، فالآيات التي اقترنت باللام كان التسبيح فيها للمسبح سجيةً وطبيعةً ، فهي منقادة بجبلتها ، مهيّأة بتكوينها لهذا التسبيح ، فكأن تسبيح السماوات السبع والأرض ومن فيهن صار سجية لها ، لا يفارقها البتة [3].

6- وفي القران الكريم نجد آيات متشابهة :

تبدأ أحداهما بـ (لقد) بإثبات اللام ، وبعضها بـ (قد) من دون (لام) ،ومن ذلك قوله تعالى في تصوير افتراء اليهود وسوء أدبهم مع رازقهم : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[4] ويقول الله عز وجل في أول سورة المجادلة : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[5] . وذلك لأن ادعاء اليهود يحسن تأكيد علم الله به ، حتى يذهب توهمهم بأن الله لا يعلم إسرارهم ،في حين سورة المجادلة نزلت في شأن مؤمن ومؤمنة ليست في حاجة إلى زيادة تأكيد اللام[6] .

خامساً: ذكر النون وحذفها .

قد تذكر النون في آيات من القران الكريم ، وقد تحذف في آيات أخرى ، وللمعنى أثر في ذلك ، ومن المواطن القرآنية التي يتمثل فيها هذا الحذف والذكر الآتي :

1- حذف نون يكن وإثباتها .

---

(1) إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني 189.

(2) الكشاف 472/4.

(3) إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني 189.

(4) سورة آل عمران ، من الآية 181.

(5) سورة المجادلة ، من الآية 1.

(6) من أسرار الآيات المتشابهات 273.

يقول النحاة إن نون كان قد تحذف تخفيفاً لكثرة الاستعمال بشرط أن يكون الفعل مجزوماً بالسكون وألا يليه حرف ساكن ، قال ابن عقيل :((حذفوا النون بعد ذلك لكثرة الاستعمال فقالوا (لم يك)وهو حذف جائز لا لازم . ومذهب سيبويه ومن تابعه أن هذه النون لا تحذف عند ملاقاة ساكن فلا نقول: لم يك الرجل قائماً وأجاز ذلك يونس ... وأما إذا لاقت متحركاً فلا يخلو إمّا أن يكون ذلك المتحرك ضميراً متصلاً أو لا فإن كان ضميراً متصلاً لم نحذف النون اتفاقاً))[1]

نقول : وهذا الكلام صحيح غير أنّ البليغ لا يحذف لمجرد التخفيف ، وإنما لغرض بلاغي يقتضيه السياق .

لقد حذفت النون من كان المجزومة سبع عشرة مرة في القران الكريم ، ولم تحذف مع أمكان الحذف في سبعة وخمسين موطناً وما ذلك إلا لسبب بلاغي يقتضيه المقام[2] .

وسأذكر ثلاثة أمثلة ابين فيها أنَّ للمعنى والسياق أثراً في الحذف أو الإثبات .

أ– فقد حذفت نون (تكن) فقال (تك) في سورة النحل ، قال تعالى :﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[3] .

في حين أثبتها في سورة النمل فقال :﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[4] .

السياق مختلفٌ في السورتين ، وهو الذي دعا إلى الحذف أو الإثبات ، فسبب نزول آية سورة النحل الذي دعا إلى حذف النون (وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ) ، فقد أنزل الله الآيات الأخيرة من سورة النحل بعدما أصاب المسلمين ما أصابهم في غزوة أحد . وقد كان مصاب الرسول "صلى الله عليه وسلم" كبيراً ، إذ استشهد عمه حمزة "رضي الله عنه" ، وبُقر بطنه ، وأخرجَ منه كبده ، ومثّلَ المشركون به ، فلمّا رآه رسول الله "صلى الله عليه وسلم" حزن حزناً شديداً ، وقال:(أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثّلنَّ بسبعين رجلاً مكانك).

فأنزل الله الآيات الأخيرة من سورة النحل ، مواسياً ومسلياً رسوله "صلى الله عليه وسلم" وداعياً له إلى الصبر والاحتمال ، والتراجع عن التمثيل بهم إن أمكنه الله منهم ، قال تعالى :﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

(1) شرح ابن عقيل 118/1.
(2) معاني النحو 248/1.
(3) سورة النحل ، من الآية 127.
(4) سورة النمل ، من الآية 70.

يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1] فكفَّر عن يمينه وكفّ عما أراده(2) فقد أوصاه ربنا بالصبر ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم ، فقال : { ولا تك في ضيق مما يمكرون } أي لا يكن في صدرك أدنى درجات الضيق من مكرهم ، فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلاً[3] .

أما آيات سورة النمل فليس فيها هذا التصبير والمواساة ، والسياق فيها لا يدعو إلى كبير الصبر والاحتمال ، ولذلك بقيت النون في الفعل على الأصل ﴿ ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ ، لأنّ الآيات في إنكار المشركين للبعث . وهذا يناسبه مجرد نهي الرسول "صلى الله عليه وسلم" عن الحزن عليهم ، وعن الضيق من مكرهم . قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[4] .

ب- ومن ذلك حذف النون في سورة هود ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[5] .

في حين أثبت النون في سورة السجدة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[6] .

إن سياق الآيتين مختلف ، وهو الذي دعا إلى حذف النون في سورة هود ، وإثباتها في سورة السجدة ، فالأولى تثبيت للرسول بقوة ونهيه عن الريب والمرية ، فقد بدأ الكلام بقوله إنه كان على بينة من ربّه . ثم

(1) سورة النحل ، الآيات 126- 128.

(2) تفسير ابن كثير 592/2.

(3) انظر التعبير القرآني 73-74 ، والحروف العاملة في القران الكريم بين النحويين والبلاغيين 246.

(4) سورة النمل ، الآيات 67-70.

(5) سورة هود ، الآية 17.

(6) سورة السجدة ، الآيتان 23-24.

يتلوه شاهد منه ، ثم قبله كتاب موسى وختمه بقوله إنه الحق من ربك فناسب ذلك أن يقال :(فلا تكُ في مرية منه) بخلاف الآية الأخرى فإنها ليس فيها مثل هذه الدواعي[(1)] .

ج- وكذلك حذف النون في سورة غافر ، قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم ﴾[(2)] في حين أثبتها في سورة المؤمنون فقال :﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [(3)] .

وعلة حذف النون في سورة غافر أنّ الرسل جاءتهم من أقرب شيء في البيان الذي أقل من مبدأ فيه وهو الحسن إلى العقل إلى الذكر ورقيهم من أخفض رتبة وهي الجهل إلى أرفع درجة في العلم وهو اليقين ، وهذا بخلاف سورة " المؤمنون" فإن كون تلاوة الآيات قد أكمل كونه وتم[(4)] .

2- ومن حذف النون وإثباتها في القران الكريم قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[(5)]

وقوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [(6)] فحذفت النون من (أنا) في آية سورة آل عمران ، وثبتت في آية سورة المائدة فقيل (أننا) ، وعلة ذلك " أنّ آية المائدة لما ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به ، وذلك قوله ﴿ أن امنوا بي وبرسولي ﴾ فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاها ناسب ذلك (أننا) على أوفى الحالين وهو الورود على الأصل . وبما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في سورة آل عمران إذ قال تعالى :﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ﴾ ، فلم يقع هنا (وبرسوله) إيجازاً للعلم به وشهادة السياق ناسب هذا الإيجاز الإيجاز كما كما ناسب الأنعام في آية المائدة ،والإتمام فقيل هنا ﴿ واشهد بأنّا مسلمون ﴾ وجاء كل على ما يجب ولو قدّر ورود العكس لما ناسب))(7) . يزاد على ذلك انه قال في المائدة ﴿ وإذ اوحيتُ إلى الحواريين ﴾ أي : إن الله

---

(1) معاني النحو 521/1 ، والتعبير القرآني 74- 75.

(2) سورة غافر ، من الآية 50.

(3) سورة المؤمنون ، من الآية 105.

(4) معاني النحو 249/2.

(5) سورة آل عمران ، الآية 52.

(6) سورة المائدة ، الآية 111.

(7) ملاك التأويل 165-166.

هو الذي أوحى إليهم وثبتهم ، فناسب ذلك زيادة النون تأكيداً ، لأن النون قد تأتي في مقام التأكيد[1] .

3– ومن ذلك زيادة النون في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[2] في حين حذفت في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[3]

والسياق في الآيتين مختلف ، وهو الذي دعا إلى زيادة النون أو حذفها ، إذ الآية الأول وردت في سياق التوجه نحو القبلة المحولة إلى مكة من بيت المقدس ، وذلك أمر قد يثير في النفوس الإتباع فاحتاج إلى التوكيد ، كذلك ((فإن فيها في أول القصة "فلنولينك قبلة ترضاها" بنون التوكيد ،فأوجب الازدواج إدخال النون في الكلمة ، فيصير التقدير ، فلنولينك قبلةً ترضاها ﴿ فلا تكوننّ من الممترين ﴾))[4] أما علة حذف النون في الآية الثانية ، فلأنَّ ما في السورة جاء على الأصل ولم يكن ما أوجب إدخال نون التأكيد في الكلمة [5] .

سادساً : ذكر الواو وحذفها .

قد تذكر الواو في آيات من القران الكريم ، وقد تحذف في آيات أخرى ، وللمعنى أثر في ذلك ، ومن المواطن القرآنية التي يتمثل فيها هذا الحذف والذكر الآتي :

1– فقد ذكرت الواو في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[6]

في حين حذفت الواو في قوله تعالى: ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[7] . فالعلة في ذكر الواو في الآية الأولى ، لأنها من مقالة أهل مدين لشعيب ورافقت الواو هذه الآية ، لأنها معطوف عليها قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[8] ، وهي مقالة أخرى لهم ثمّ ذكرت النتيجة في الآية اللاحقة : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[9].

---

[1] التعبير القرآني 76.
[2] سورة البقرة ، من الآية 147.
[3] سورة آل عمران ،الآية 60.
[4] البرهان في متشابه القران 47.
[5] المصدر نفسه0
[6] سورة الشعراء ، من الآية 186.
[7] سورة الشعراء ، من الآية 154.
[8] سورة الشعراء ،من الآية 186.
[9] سورة الشعراء ، الآية 187.

وأمّا علة الحذف في الآية الثانية ، وذلك لأنها في مقالة ثمود لأخيهم صالح فخلت هذه الآية من الواو ، لأنها متصلة بما بعدها اتصالاً تاماً ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [1] فحذفت الواو لتحقيق تمام الاتصال بين الآية وما قبلها[2].

2- وقد حذفت الواو من (فتحت أبوابها) في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [3]في حين ذكرت الواو في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [4] . والعلةُ في حذف الواو في الآية الأولى . لأنّ النار لو فتحت أبوابها قبل أن يصل إليها التعساء من أصحابها لانتشر اللهيب في كل مكان ، ولخرج الشواظ المتأجج ليحرق ما حوله ، وانتقل خطره من النار إلى ما عداها ، ولذلك تظل أبوابها موصدة غير مفتوحة حتى يأتي المذنبون إلى مستقرهم بها ، وهنا تفتح الأبواب فجأة . وأما علة زيادتها في الآية الثانية ، هي لأن الجنة بمنظرها الفتان ، وعطورها الفائحة كانت مفتحة الأبواب قبل أن يأتي إليها المتقون ، ليكون مرآها على بعد أشوق وأجذب وأخلب، ولذلك لم تفتح أبوابها عند حضورهم ، إذ كانت في زينتها المرئية من الداخل على أكمل منظر يبهج النفس ، وتأكيداً لذلك يقول الله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾[5] فهي دائمة الإشراق داخلاً وخارجاً [6]

3- فقد ذكرت الواو في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[7] . في حين حذفت الواو من قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ [8] .

ويعلل الرازي علة الحذف والذكر في هاتين الآيتين بقوله :((وذلك الوقت في الآية الأولى إشارة إلى معنيين مجتمعين ، وأن كل نفس في ذلك الوقت تجيء ومعها سائق ، ويقول الشهيد ذلك القول . وأما

---

(1) سورة الشعراء ،من الآية 154.
(2) ينظر ملاك التأويل 2/895-896 ،ومن أسرار الآيات المتشابهات 276.
(3) سورة الزمر ،من الآية 71.
(4) سورة الزمر ، من الآية 73.
(5) سورة ص ، الآية 50.
(6) البيان القرآني 250-251.
(7) سورة ق ، الآية 23.
(8) سورة ق، الآية 27.

في الآية الثانية ، لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر الواو))(1) فحذفت الواو هنا بني على ابتداء معنى لاتصاله بما سبق ، وأمّا ذكرها فكان من أجل الدلالة على معنى مشترك ، قال أبو جعفر الغرناطي:((وقال قرينه...... فهذه إخبارات عن شدائد بعضها تلو بعض ، فطابق ذلك ورود بعضها معطوفاً على بعض . وأما قوله "قال قرينه" فهو إخبار مبتدأ مستأنف معرف بتبرىء قرينه من جملة ما تأبطه وإجترمه، ولا طريق لعطف ذلك على ما قبله ، إنما هو استئناف إخبار ، فورد كل من الآيتين على ما يجب ويناسب))[2] .

(1) التفسير الكبير 145/28.

(2) ملاك التأويل 1029/2-1030.

سابعاً : ذكر الياء وحذفها .

وردت آيات في القران الكريم ، ذكرت الياء في بعضها ،وحذفت من بعضها الآخر . وكان للمعنى أثر في الحذف أو الذكر . من ذلك :

1- فقد حذفت الياء من الفعل (نبغي) فقال (نبغِ) في قوله تعالى :﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾[1] في حين ذكر الياء في قوله تعالى :﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾[2]

والمعنى هو الذي أوجب الذكر أو الحذف ، ذلك أن الحدث مختلف في الآيتين ، وأن السياق يوضح ذلك . قال تعالى في سورة الكهف :﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً ﴾[3] .ونسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة وإنما يبغي الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه.

وأما في سورة يوسف ، فالطعام هو ما يبغون ، وهو سبب رحلتهم ، ففرّق بين البغيتين. فلمّا كان ما في سورة الكهف ليس هو مايبغون حذف من الحدث إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام ، وإنما هو علامة على الموضع الذي يجدون فيه بغيتهم. ولما كان ما في سورة يوسف هو بغيتهم هو ذكر الفعل كاملاً ولم يحذف منه[4] .

2- قد تذكر ياء المتكلم في مواضع من القرآن ، فقد قال تعالى :﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾[5] وقال تعالى :﴿ فلا تخشوهم واخشوني ﴾[6] في حين يحذف ياء المتكلم ويجتزأ عنها بالكسرة في قوله تعالى :﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾[7]

يقول الفراء في قوله تعالى ((واخشوني)) أنمّا ((اثبت فيها الياء ولم تثبت في غيرها ، وكل ذلك صواب ، وإنما إستجازوا حذف الياء ، لأنّ كسرة النون تدل عليها ، وليست تهيّبُ العرب حذف الياء

---

(1) سورة الكهف ،من الآية 64.
(2) سورة يوسف ، من الآية 65.
(3) سورة الكهف ، الآيتان 63-64.
(4) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 24.
(5) سورة البقرة ، من الآية 150.
(6) سورة المائدة ،من الآية 44.
(7) سورة المائدة ، من الآية 3.

من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوراً)) (1) والعلة في حذف الياء وإثباتها عند الكرماني هي أنّ ((الإثبات هو الأصل ، وحذفت الياء من (واخشون) من الخط لمّا حذفت من اللفظ ، وحذفت من (واخشون ولا تشتروا) موافقة لما قبلها)) [2] وعندما وقف أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي أمام هذه الآيات أرجع العلة إلى عدة أسباب ،هي :

1- إن مقام الإطالة والتفصيل في سورة البقرة أكثر بكثير من سياق الآيتين الأخريين . فإن الكلام على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وهو يبدأ بقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [3]

ويستمر إلى الآية 150. أما آية المائدة ذات الرقم 3 ، فهي آية واحدة في الأطعمة المحرمة ، هو قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [4]

وأمّا الآية الأخرى ، فهي في سياق الكلام على التوراة في آيتين، وهما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [5] **فتقتضى ذلك الزيادة في البناء (اخشوني) في البقرة دون الآيتين الأخريين .**

2- إنّ آية البقرة في تحويل القبلة من بيت المقدس ، وقد أثار ذلك فتنة وملاحاة وإرجافاً من المشركين واليهود ، وقد ذكر القران الكريم هذا الأمر(6) أما آية الأطعمة المحرمة ، فليس فيها ملاحاة ، ولا إرجاف

---

(1) معاني القران للفراء 90/1.

(2) البرهان في متشابه القران 55.

(3) سورة البقرة ، من الآية 142.

(4) سورة المائدة ، الآية 3.

(5) سورة المائدة ، الآيتان 44-45.

(6) انظر سورة البقرة ، الآيات 142-147.

ولا إثارة ، ثم هي بعد انتصار المسلمين وعزة الإسلام واكتمال الدين . وكذلك آيتا التوراة ليس فيها إثارة ولا خصومة ، فقد ذكر أنّ التوراة أنزلت فيها هدًى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا لليهود ، ويحكم بها الربانيون والأحبار . وليس فيها ما يستدعي ملاحاة ولا فتنة . فاقتضى المعنى في آية البقرة ذكر نفسه – سبحانه– والتخويف منه وإظهار نفسه لخشيته أكثر من الآيتين الأخريين.

3– إنّ الشخص يُذكّرُ بالله ، ويُخوّفُ منه على قدر العمل الذي يُطلب منه القيام به ، أو يُحذر من القيام به ، ولا شك في أنّ التحول في القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة فيه من الإرجاف والفتنة ، ومظنة الارتداد عن الدين ما ليس في الأمرين الآخرين ، فاقتضى ذلك إظهار الله لنفسه بذكر الياء ، فقال (واخشوني) وأن يجتزىء بالكسرة إشارة إلى المتكلم في الموطنين الآخرين.

4– إنّ آيات سورة البقرة فيها توكيدات ، وهي تناسب هذا الإظهار ، منها قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[3] وغيرها . فاقتضى ذلك إظهار الياء في سورة البقرة دون الآيتين الأخريين[4] .

3– ومن ذكر الياء وحذفها في القران الكريم ، ذكرها في كلمة (كيدوني) في قوله تعالى : { فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ }(5) وحذفها من كلمة (كيدون) في قوله تعالى:{ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [6] .

والعلة في ذكر الياء في الآية الأولى أنّ المقام مقام تحدٍّ كبير ومواجهة ، فأظهر نفسه زيادة في التحدي .

وأمّا حذفها والاجتزاء عنها بالكسرة في سورة الأعراف ، أنّه ناسب بين طول الكلمة والسياق فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل ، والكلمة المجتزأة للسياق المجتزأ ، وكذلك طلب منهم في هذه الآية عدم المهلة في الأنظار وعدم الإنظار هو المناسب لسياق سورة الإعراف ولذلك حذفت الياء[7] .

(1) سورة البقرة ، من الآية 143.
(2) سورة البقرة ، من الآية 145.
(3) سورة البقرة ، الآية 147.
(4) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 24-27.
(5) سورة هود ، من الآية 55.
(6) سورة الأعراف ، من الآية 195.
(7) الإتقان في علوم القران 79/2.

وهناك أمثلة أخرى تناولها الدكتور فاضل السامرائي فلا نريد تكرارها[1] .

في نهاية هذا البحث لابدّ أن نقول إن السياق القرآني المعجز هو الحكم ، فهو الذي يشير إلى ذكر الحرف والى حذفه ، فقد يكون الأنسب – من حيث الأسلوب والمضمون – ذكر حرف في آية ؛ لأنّ هذا يتفق مع سياقها التعبيري والمعنوي ، وقد يكون الأنسب حذف الحرف نفسه في آية أخرى مشابهة ، لأنّ هذا الحذف يتفق مع السياق الأخر التعبيري والمعنوي . فالقران الكريم دقيق ومعجز فيما يذكر ، وفيما يحذف من الحروف ، والسياق هو الحكم في هذا التوازن الدقيق .

مصادر البحث ومراجعه

1- القران الكريم برواية حفص عن عاصم .

2- الإتقان في علوم القران – جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البُغا ، دار الهدى ، الجزائر (دون تاريخ).

3- أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنية – الدكتور حسن طبل ، بيروت 1411هـ -1991م .

4- الأعجاز البياني للقران – الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة 1971م .

5- إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني – الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار ، ط1 ، عمان 1421هـ – 2000م .

6- البرهان في توجيه متشابه القران – محمود بن حمزة (ت505هـ) ، تحقيق عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1406-1986م .

7- البرهان في علوم القران – بدر الدين بن عبد الله الزركشي (ت794هـ) ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت 1408هـ – 1988م .

8- البلاغة تاريخ وتطور – الدكتور شوقي ضيف ، ط9 ، دار المعارف ، مصر (دون تاريخ) .

9- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني – الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ط1 ، دار عمار ، عمان 1420هـ -1999م .

10- البيان في روائع القران – الدكتور تمام حسان ، ط2 ، عالم الكتب ،بيروت 1420هـ – 2000م .

11- البيان القرآني – الدكتور محمد رجب البيومي ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 1421هـ 2001م .

[1] انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 28-32.

12- تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري (ت398هـ) ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1404هـ - 1984م .
13- التصوير الفني في القران – سيد قطب ، بيروت (دون تاريخ) .
14- التعبير القرآني – الدكتور فاضل السامرائي ، ط1 ، دار عمار ، عمان 1418هـ - 1999م .
15- التعريفات – علي بن محمد الجرجاني (ت816هـ) ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1413هـ - 1992م .
16- تفسير القران الكريم – أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت774هـ) ، دار المفيد ، بيروت ، (دون تاريخ) .
17- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) – فخر الدين الرازي (ت606هـ) ، ط3 ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (دون تاريخ) .
18- التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين – حمدان حسين محمد ، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى ، طرابلس 2000م .
19- الجامع لأحكام القران – أبو عبد الله القرطبي (ت671هـ) ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1408هـ - 1989م .
20- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – احمد الهاشمي ، ط12 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان (دون تاريخ) .
21- حروف الجرّ وأثرها في الدلالات – محمد طيب فانكا الناغوي ، ط1 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى ، طرابلس 2002م .
22- الحروف العاملة في القران الكريم بين النحويين والبلاغيين – الدكتور هادي عطية ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة القصرية ، بيروت (دون تاريخ) .
23- درة التنزيل وغرة التأويل – الخطيب الاسكافي (ت420هـ) ، ط3 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1979م .
24- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، جمع أصله محمد عبده ومحمد محمود التركزي ، تصحيح محمد رشيد رضا ، شركة الطباعة الفنية المتحدة 1381هـ - 1961م .
25- شرح ابن عقيل – بهاء الدين بن عقيل (ت769هـ) ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، ط20 ، دار التراث ، مصر 1400هـ - 1980م .
26- شعب الإيمان – أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ) ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان 1421هـ - 2000م .

27- علم الدلالة – الدكتور احمد مختار عمر ، ط4 ، عالم الكتب ، القاهرة 1993هـ .
28- فواصل الآيات القرآنية – الدكتور كمال الدين عبد الغني المرسي ، ط1 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 1420هـ – 1999م .
29- الكتاب – سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، بيروت (دون تاريخ) .
30- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله الزمخشري (ت538هـ) ، (دون تاريخ) .
31- لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت711هـ) ، ط1 ، دار صادر ، بيروت 1374هـ - 1955م .
32- معاني النحو – الدكتور فاضل صالح السامرائي ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل 1989م – 1991م .
33- معترك الأقران في إعجاز القران – جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، ضبط وتصحيح احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت (دون تاريخ) .
34- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، (دون تاريخ) .
35- مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة – الدكتور محمد بركات حمدي ، دار البشير ، عمان – الأردن 1408هـ - 1988م .
36- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل – أبو جعفر الغرناطي (ت708هـ) ، تحقيق : سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت 1403هـ – 1983م .
37- من أسرار الآيات المتشابهات – الدكتور سعيد فاندي ، بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد13 ، الجماهيرية العظمى – طرابلس 1996م .
38- النحو وكتب التفسير – الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة ، ط3، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الجماهيرية العظمى 1990م .